المحاضرة (٢٢)

الشعر واتجاهاته

إذا كان شعراء الديوان وشعراء ابولو قد نهضوا بالشعر العربي في الشرق، نهضة نقلته من حالة الجمود إلى حالة اليقظة، واندفعت به إلى التعبير عن جوهر الحياة الانسانية وتجسيد مضامينها المختلفة، فقد كان شعراء المهجر في أمريكا يخطون خطوة مماثلة نهضت بالشعر نهضة واضحة، عبر فيها الشعراء عن نفوسهم وما اختلج فيها من خواطر وافكار وتأملات في النفس والحياة والطبيعة، وجسدوا فيها مواقفهم تجاه هذه الاشياء، بما كانوا يحسون به من آمال وآلام وخواطر وطموحات. وحول هذه المسائل دار شعرهم، كما دار حولها شعراء المشرق. وهو توارد في الخواطر عجيب. واعجب منه ما صدر عنه نقدهم الذي التقى نقدهم إخوانهم الذي تمثل بكتاب (الديوان) الذي أصدره العقاد والمازني. فإذا بكتاب (الغربال) الذي أصدره ميخائيل نعيمة، يلتقي بخطوطه العريضة، وأفكاره العامة ومنهجه الذي صدر عنه، مع كتاب الديوان. وهذا يعني أن الجسور التي كانت تصل شعراء الشرق بشعراء المهجر قد أكدت وحدتهم الفكرية وما صدر عنها من مواقف متماثلة في الشعر ومفهومه ووظيفته وصلته بالحياة والناس والكون والطبيعة.

وقد تمثلت هذه الوحدة التي صدروا عنها في شعرهم، في إعجاب ميخائيل نعيمة بكتاب (الديوان) وفي ثنائه عليه وتقريضه له، في حين أن العقاد قد قدم بمقدمة إضافية لكتاب (الغربال) الذي طبع في مصر بعد سنتين من صدور كتاب (الديوان). ومهما تكن المسائل التي وردت في الكتاب مختلفة بعض الاختلاف، إلا غنها قد اتفقت في موقفها من الشعر وماهيته وتجديده. حين رأت فيه وسيلة للتعبير عن جوهر الأشياء، وعن عواطف الانسان وأفكاره ومشاعره وأحاسيسه، بالمواقف الصادقة والتجارب العميقة.

وعلى هذا قام ديوان (همس الجفون) لميخائيل نعيمة، خواطر نفسية، وتاملات فلسفية وأفكار في الزهد والصوفية.

ولا يقف هذا على شعر نعيمة وحسب، وإنما تجاوزوه إلى معظم شعراء المهجر.

ولعل اسماء دواوينهم الشعرية، يمكن أن تعكس جوهر الشعر لديهم (فهي أما اسماء مستقاة من الطبيعة بمظاهرها المختلفة، كالجداول والخمائل وأوراق الخريف، وأما اسماء معبرة عن حالات نفسية وأفكار فلسفية تأملية مثل الارواح الحائرة، وأغاني الدرويش وغيرها).

وبالعودة إلى عناوين شعر شكري والعقاد وناجي وأبي شادي وعلي محمود طه ومحمود حسن إسماعيل، نستطيع أن نفهم كيف اتفقت مواقف شعراء المهجر مع شعراء المشرق وهو اتفاق عجيب يؤكد وحدة شعرائنا، وصدورهم عن حالة واحدة، ومواقف من الحياة والطبيعة والانسان واحدة أيضاً:

وهكذا ينهض شعرنا العربي في المهجر نهضة ملحوظة وينفض عنه الغبار الذي تراكم عليه مئات من السنين، فإذا هو يخرج إلى الحياة بحلته الجديدة، ليواكب حركة الشعر في العالم المتقدم، فتبوأ مكانه اللائق الذي عوضه إلى حد بعيد عن تخلفه خلال العصور السابقة.

ولقد اتجه شعر المهجر اتجاهات عديدة، يمكن ان نجملها بما يلي:

الاتجاه التأملي النفسي والاتجاه الوصفي والاتجاه الانساني والاتجاه العاطفي والاتجاه الاجتماعي.

وتلتقي هذه الاتجاهات مع بعضها البعض الاخر وتتشابك، لأن شعر المهجر يستقي من الانسان والحياة والطبيعة موضوعاته، وأنه يجعل من الشعر نفسه وسيلة لتجسيد الحياة والطبيعة والنفس الإنسانية.

وهكذا تختلط قصائد الطبيعة مع قصائد التأمل، ويلتقي الوصف مع الشعر العاطفي ويتشابك الموضوع الاجتماعي مع الموضوع الانساني.

الاتجاه التأملي النفسي:

ليس شعر التأمل الفكري والفلسفي جديداً في شعرنا العربي، فقد أثار ابن الرومي وابو تمام والمتنبي وابو العلاء في شعرهم، مسائل تأملية وقضايا فكرية، لا يمكن إغفالها.

إلا إن اتجاه شعر المهجر التأملي، أصبح يشكل ظاهرة عامة ربما قافت كل خواطرهم الشعرية. وكانت الظروف القاسية التي واجهت شعراء المهجر، سبباً في بروز هذا الاتجاه، فقد ترك هؤلاء أوطانهم ، وغادروا أهلهم وأحبابهم، وواجهوا في بيئتهم الجديدة ظروفاً اقتصادية ونفسية صعبة انعكست في شعرهم حنيناً إلى اهلهم وحباً لاوطانهم. فراحوا يعبرون عنها بالمعاني المتناقضة من (يقين وشك ورضى وسخط وقلق وطمأنينة وغنى وفقر وتفاءل وتشاؤم).

وعلى الرغم من أن هذه المعاني قد حققت في شعرهم تجديداً ملحوظاً، وأنها جسدت ما كان ينتابهم من قلق واضطراب وحيرة، خصوصاً في المراحل الاولى من حياتهم إلا إنها تحولت فيما بعد إلى قضايا كبيرة زلزلت كيانهم، وعمقت إحساسهم بالألم وانتهت بكثيرين منهم إلى زعزعة ثقتهم بالحياة والكون، وصارت فيما بعدئذ تناقش الكثير من المسائل الجديدة، بل إنها قد (جرتهم في مجال النظر السطحي في قضايا الوجود والكون، إلى مجال النظر الفلسفي الذي يناقش الأسباب ويبحث عن العلل البعيدة والقريبة، ويتجاوزا حدود العالم الطبيعي المحسوس، إلى ما وراءه من أسرار والغاز، فراحوا يطرحون أمام أنفسهم هذه الأسئلة: لماذا خلقنا ولماذا نعيش، وإلى أي غاية نحن مسوقون، وما الوجود وما العدم ، وما اللذة وما الألم، وما الخير وما الشر، وما الحياة وما الموت) . وغير هذه وتلك من المسائل التي شكلت جانباً كبيراً من تراثهم الشعري، مما لم نعهد له مثيلاً في شعرنا العربي في المشرق.

وعلى الرغم من الحرية الفكرية التي تمتع بها هؤلاء الشعراء في بيئتهم الجديدة، والتي ساعدتهم على إثارة هذه التساؤلات والتي سلختهم من تلك الأجواء الروحية الرحبة التي تربوا في أحضانها في بيئتهم المشرقية، مما أوقع معظمهم في تيارات فكرية مشبوهة، أسلمتهم إلى البحث في موضوعات تتناقض تمام التناقض مع الفكر المسيحي والإسلامي فراحوا يبحثون في قضايا الثنائية والعدمية وأمثالها، ويناقشون مسائل روحية دينية ليست من صميم وظيفة الانسان في الحياة أو قدرته مما قادهم في آخر الأمر إلى تحقيق نوع من الإثارة الفكرية والتساؤل المنطقي عن الوجود والعدم والحياة التي لم يستطيعوا معرفة كنهها والوقوف على اسرارها.

وربما انتهى عند بعضهم إلى الإيمان بوحدة الاديان ووحدة الوجود. وتمثل قصائد فوزي المعلوف في مطولة (بساط الريح وشعلة العذاب) وابي ماضي في ديوانه (الجداول والخمائل) والريحاني في (ريحانياته) هذا المنطق الفكري. بل غن شعر جبران في (مواكبه) المشورة يشكل وحدة ظاهرة ملحوظة في هذا الاتجاه. فهو يسوق مقارنة طريفة بين الحياة الجديدة التي يحياها الانسان في ظل الحضارة المادية، وبين حياة الغاب التي تلوثها أطماع البشر، ولم تدنسها الشرور والاحقاد. يقول:

الخير في الناس مصنوع إذا جبروا ... والشر في الناس لا يفنى إذا قبروا
وأكثر الناس آلات تحركها ... أصابع الدهر يوماً ثم تنكسر
فأفضل الناس قطعان يسير بها ... صوت الرعاة ومن لم يمش يندثر
ليس في الغابات راعلا ... ولا فيها القطيع
فالشتا يمشي ولكن ... لا يجاريه الربيع
خلق الناس عبيداً ... للذي يأبى الخضوع
وما الحياة سوى نوم تراوده ... أحلام من بمراد النفس يأتمر
والسر في النفس حزن النفس يشهره ... فإن تولى فبالأفراح يستتر
فإن ترفعت عن رغد وعن كدرٍ ... جاوزت ظل الذي حازت به الفكر

والقصيدة ملحمة تأملية طويلة، وكلها يأتي على هذا النسق الفكري الذي يتأمل الحياة ويناقشها. كما يبحث فيها تناقضات النفس البشرية وما ينتابها من خير وشر ولذة والم وحق وظلم، وينتهي إلى أن حياتنا المادية هذه، هي التي تسودها المتناقضات، بينما حياة الغاب هي حياة صافية بريئة خالية من كل ما يدنسها.

وقد شغل جبران نفسه بهذا الاتجاه، وحقق في شعره مضامين فنية عميقة تؤكد نهاية ما توصل إليه في نظراته إلى الحياة البشرية القائمة، وخلاصة ما يراه بديلاً لها. وتمثل قصيدته

الرائعة (البلاد المحجوبة) هذا التفكير العميق الذي عبر عنه بأسلوب سلس بسيط بعيد عن التعقيد.

وقصيدة البلاد المحجوبة، تبين (أن المحور الأساس لتلك النزعة التأملية الفلسفية هو الاهتمام بقضايا الانسان، والبحث عن كل ما يحقق له الأمن والسعادة ولو عن طريق الحلم بعالم خير مثالي، إذا لم يجد الانسان سبيلاً إلى تحقيقه والوصول إليه في واقعه، فلا أقل من أن يلتمسه داخل نفسه، فهي المصدر الحقيقي لكل سعادة ينشدها، وكل طمأنينة يهفو إليها).

والأبيات التالية من القصيدة تفصح عن عالم جبران المنشود وعن وطنه الذي ينشد وعن مثله التي يسعى إليها. بعيداً عن بلدان الارض التي لوثتها اطماع البشرية، واندفعت تدنسها بالقمع والظلم والحقد والكراهية. يقول فيها:

يـــا بـــلاداً حجبـــت منـــذ الأزل ... كيـــف نرجـــوك ومـــن أيـــن الســـبيل
أي قفـــــر دونهـــــا أي جبـــــل ... ســـورها العـــالي ومـــن أيـــن الـــدليل
أتـــراب انـــت أم أنـــت الأمـــل ... فـــي نفـــوس تتمنـــى المســـتحيل
يـــا بـــلاد الفكـــر يـــا مهـــد الألـــى ... عبـــدوا الحـــق وصـــلوا للجمـــال
مـــا طلبنـــاك بركـــب أو علـــى ... مـــتن ســـفن أو بخيـــل أو رجـــال
لســـت فـــي الشـــرق ولا الغـــرب ولا ... فـــي جنـــوب الأرض أو نحـــو الشـــمال
لســـت فـــي البـــر ولا تحـــت البحـــار ... لســـت فـــي الســـهل ولا الـــوعر الحـــرج
أنـــت فـــي الأمـــواج أنـــوار ونـــار ... أنـــت فـــي صـــدري فـــؤاد يخـــتلج

تلك هي مدينة جبران أو قل هي (اليوتوبيا) التي كان يبحث عنها، ويسعى إليها ولاشك أن أفكارها ومعانيها لم تخطر على بال شعرائنا في الشرق إلا في القليل النادر، وهي معان احتفظ بريادتها شعراء المهجر وجبران بالذات.

ولم يكن هذا الشاعر هو الوحيد الذي يبحث عن عالمه المنشود في (الغابة)، فإذا كانت قصيدته السابقة (الأرض المحجوبة) قد عكست عالمه هذا فإن (إيليا ابو ماضي) قد سعى إلى نشدان عالم مماثل، في قصيدته الرائعة (الغابة المفقودة) التي وجد فيها ملاذه الآمن، وحياته المثالية التي تنأى فيها الاحقاد وتحتشد بصور الجمال والعدل، والكرامة والحب، يقول فيها:

لله فـــــي الغابـــــة أيامنـــــا ... مـــــا عابهـــــا بهـــــا إلا تلاشـــــيها
طـــــوراً علينـــــا ظـــــل أرواحهـــــا ... وتـــــارة نحصـــــي أقاحيهـــــا
وأن تضـــــاحكنا ســـــمعنا الصـــــدى ... يضـــــحك معنـــــا فـــــي اقاصـــــيها
وأن مشـــــينا فـــــوق كثبانهـــــا ... لاحـــــت فشـــــاقتنا ادانيهـــــا

لكن غاية أبي ماضي هذه، هي أيضاً (اليوتوبيا) التي لا تلبث أن تصير بعيدة التحقق، بسبب اطماع الانسان ودماره وشره، ومن هنا لم يبد فيها شاعرنا متفائلاً، وإنما هو حزين لغيابها:

لا غـــابتي اليـــوم كعهـــدي بهـــا ولا التـــــي احببتهـــــا فيهـــــا
قـــد بـــدل الانســـان اطوارهـــا واغتصـــب الطيـــر مآويهـــا
وفـــت بالبـــارود جلمودهـــا واجتـــث بالنـــاس دواليهـــا
وشـــاد مـــن أحجارهـــا قريـــة ســـكانها النـــاس وأهلوهـــا

حقاً إنها (يوتوبيا) ضائعة لا يمكن تحققها، وهكذا الشأن في كل شعر المهجر، أنهم يحلمون بعالم مثالي وطبيعة آمنة لا يمكن تحققها مع واقع الحياة الإنسانية. لما في نفس الانسان من أطماع وأحقاد وشرور، ولهذا استسلم معظمهم للألم والحزن ووقف موقفاً متشائماً من الحياة.

ويبدو أن شعراء المهجر الشمالي كانوا أكثر ميلاً إلى هذا الاتجاه التأملي، وربما يعود السبب إلى انبهارهم بالعنصر الحضاري الذي وجدوه في البيئة الأمريكية الجديدة.

ومن هنا كانت نزعتهم إلى روحانية الشرق، وهجومهم على مادية الغرب (وقد كان للوجود والموت، وما بعد الموت حظ وافر من اهتمام الشماليين فشاعت في شعرهم نزعة تأملية تتضح عند إيليا أبي ماضي في أغلب شعره)

وتعد قصيدة الطلاسم محاولة واضحة للاجابة عن أسرار الحياة والوجود التي جهلتها الانسانية. وقد وقف الشاعر فيها موقفاً متشككاً، ربما وصل مداه إلى مذهب (اللاادارية):

جئت لا اعلم من أين ولكني أتيت
ولقد أبصرت قدامي طريقاً فمشيت
وسأبقى سائراً إن شئت هذا أم أبيت
وكيف جئت، كيف أبصرت طريقي
لست أدري

والقصيدة طويلة وتتجه كل معانيها إلى التساؤلات، ولا يصل صاحبها في معالجته إلى حل ويكفي أن يدل عنوانها على هذا الاتجاه.

ويحاول جبران أن يفلسف الحياة في ظل هذه المفاهيم التي تتخذ من معاني العدل والظلم والحرب والسلام والحياة والموت مادة لها. وربما كانت قصيدة (المواكب) التي سبق الاستشهاد بها، خير ما يؤكد هذه النزعة التأملية لدى شعراء المهجر.

وقد أمعن شعراء المهجر الشمالي، في تحقيق هذا التيار في شعرهم. وربما كان كما اسلفنا أشد ما يميز شعرهم. حتى ربطوا كل نشاطهم الاجتماعي والانساني به. من ذلك ما فعله ميخائيل نعيمة، حين حقق هذا الاتجاه في موضوع الغزل بقوله:

أنـــــا الســـــر الـــــذي اســـــتترا بروحـــــك منـــــذ مـــــا خطـــــرا

والواقع أنك (مهما تنقلت في قراءتك من) (النبي) و(المجنون) و(السابق) لجبران. إلى (همس الجفون) و(كرم على درب) لميخائيل نعيمة. إلى شعر إيليا أبي ماضي في (الجداول) و(الخمائل) إلى غير هؤلاء من شعراء، فستجد هذا الاحساس الفلسفي الروحي منعكساً على اعمال شعراء الرابطة القلمية) بالذات.

ومن أشد مظاهر الاتجاه التأملي في شعر المهجر، فكرة وحدة الوجود التي يرى معتقوها أن الله سبحانه وتعالى يتجلى في كل شيء خلقه، في الانسان والحيوان وفي النبات وفي الجماد، بل وفي كل موجود. يقول شكراً لله الجر:

وعلام القول إن الله قد حجب عنا
هو في النهر وفي الحقل وفي الغصن تثنى
هو في البحر وفي الريح وفي الغابة عنى
هو في الأكوان منذ كانت وفينا منذ كنا

وعلى الرغم من ان العديد من شعرائنا المتصوفين القدامى قد عالجوا هذه الفكرة في شعرهم، إلا إنها قد انطلقت منذ القرن السابع الهجري حيث بلغ أوجهاً عند محي الدين بن عربي وجلال الدين الرومي.

وظلت فكرة وحدة الوجود في الشعر الحديث تطفو على سطح القصيدة لدى الزهاوي والرصافي وغيرهما، إذ لم تشكل ظاهرة شعرية واضحة، حتى تم لها ذلك عند شعراء المهجر.

فهذا شاعر الجنوب نعمة فازان يقول في وحدة الوجود:

رأيـــــت القطـــــرة الصـــــغرى تـــــروي غلـــــة القفـــــر
وحالـــــت بعـــــد ذا نهـــــرا إلـــــى آمالـــــه يجـــــري
رأيـــــت الزهـــــرة الزهـــــراء تخطـــــر خطـــــرة العجـــــب
يســـــاقيها نســـــيم الصـــــبح كاســـــات النـــــدى العـــــذب
فمـــــن زهـــــر إلـــــى تـــــرب إلـــــى زهـــــر إلـــــى تـــــرب

اما ميخائيل نعيمة فيناقش هذه الوحدة في تأمل فلسفي عجيب، إذ يرى أن الكائنات تتوحد في حقيقة كلية واحدة، لأنها جميعاً من صنع الله. لذلك نراه يطالع صورة نفسه في كل مظهر من مظاهر الطبيعة تحيط به، فهو يطالعنا في البحر وفي الريح وفي الفجر وفي الشمس وفي شدو البلابل، فالخلق الانساني كما يراه آية من آيات القدرة الإلهية:

إيـــــه نفســـــي انـــــت لحـــــن فـــــي قـــــدرن صـــــداه

وقصـــــــــــــته يــــــــــــد فنــــــــــان خفـــــــــــي لا اراه

أنـــــــــت ريــــــــح ونســــــــيم أنـــــــت مـــــوج انــــــت بحـــــر

انـــــــت بـــــرق انــــــت رعـــــد انــــــت ليـــــل انـــــت صـــــبح

ومن الأفكار التي راودت شعراء المهجر، وضمونها شعرهم، فكرة (الثنائية) التي يظهر فيها التناقض في النفس الإنسانية، كالتناقض بين الخير والشر والجمال والقبح.

وإحساس شعراء المهجر بهذا التناقض، يعكس شعورهم بعذاب النفس، ويجسد قلقهم على المصير المؤلم الذي ينتاب النفس الإنسانية، كما يشير إلى تورطهم في الأفكار المشبوهة والمادية التي شاعت في الغرب منذ القرن التاسع عشر، والتي كان روادها يسعون إلى هدم القيم الروحية التي تنادي بها الكنائس المسيحية.

ورائد هذه الفكرة في الشعر المهجري، ميخائيل نعيمة الذي تعذب في ظل مفهومها، حتى راح يصيح في نهاية إحدى قصائده:

فـــــــي النـــــــاس خيـــــــر وشـــــــر فـــــــي البحــــــر مـــــــد وجـــــــزر

وقد تعرض نسيب عريضة لهذه الفكرة في قصيدته (يا نفس) فقال:

يــــا نفــــس هــــل لــــك فــــي الفصــــال فالجســـــم اعيـــــاه الوصـــــول

أم شـــــــاقك الـــــــذكر القـــــــديم ذكـــــر الحمـــــى قبـــــل الســـــديم

فوقفـــــــت فـــــــي ســـــــجن الاديـــــم نحـــــــو الحمـــــــى تتلفتـــــــين

وفكرة الثنائية هذه، على ما فيها من هدم للقيم الروحية التي جبل عليها هؤلاء الشعراء في بيئتهم المشرقية، إلا انها من جانب آخر قد أثرت شعرهم بالمضامين الجديدة التي تقوم على تعمق أسرار النفس ومعاني الحياة (فكما تمرد جبران على الثنائية) التي تقضي بالفصل بين جوهري النفس والروح، فإننا نراه ونرى كثيراً غيره من شعراء المهجر يتساءلون عن طبيعة هذه النفس وعن كنهها وأسرارها وخلودها وطاعتها وعصيانها وما ركب فيها من اندفاع إلى الشر أو نزوع إلى الخير).

وفي ظل الاتجاه التأملي النفسي، بحث شعراء المهجر، خلود النفس الانسانية، التي لا تغنى بغناء الجسم بعد الموت، وبهذا يكون شعرهم ادلى بدلوه بين ولاء الفلاسفة الذين بحثوا خلود النفس في الشعر كابن سينا وغيره.

ويقف في مقدمة الشعراء الذين تطرقوا في شعرهم إلى خلود النفس، جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة ونسيب عريضة.

وقد تناول شعراء المهجر مسألة الخلود تناولاً مختلفاً، يتوقف على اختلاف مواقفهم من النفس الانسانية، فجبران يستخدم الادلة المنطقية، ويحمل صوره الشعرية ما يلائم موقفه من مسألة (الخلود) ونسيب عريضة يضع قضية الخلود في موضع الحقائق الثابتة، دونما حاجة الى اثباتها وتأكيدها.

وهكذا راح هؤلاء الشعراء يضربون في أعماق النفس الإنسانية مضارب شتى ويقفون منها مواقف مختلفة، وسعوا إلى أن يجعلو للشعر وظيفة استكناه النفس الإنسانية، بعد أن كانت تبتعد عن هذا الميدان.

وصحيح أن شكري وصحبه من جماعة الديوان قد عالجوا هذه المسألة وأمثالها في شعرهم، لكن معالجتهم لها كانت أقل عمقاً من شعراء المهجر إذ لمسوها لمساً حقيقاً والواقع أن شعراء المهجر لم يختلفوا في مواقفهم من النفس ومن خلودها وجوهرها وتناقضاتها، ألا بالطريقة التي عالجوا فيها هذه النفس على وفق مواقفهم وثقافاتهم، وبذلك فتحوا للشعر ميادين جديدة لا عهد لشعرنا العربي بها إلا في نطاق محدد.

وقد تفنن شعراء المهجر في المعاني التي عالجوا فيها النفس، وضمنوها هذا الاتجاه التأملي بحيث لم يتركوا ظاهرة من ظواهر الحياة التي تتصل بالنفس الإنسانية إلا وعالجوها فقد التفتوا إلى الموت لصلته بالنفس، ورأوا فيه خلاصاً من مشكلة الوجود الذي حيرهم، أو العذاب النفسي الذي طالما انتابهم، فإذا بهم يهتفون به ويرحبون بمقدمة، تماماً كما فعل شعراء الديوان، فهو هو جبران يرى في الموت خلاصاً وشفاء مما ينتاب نفسه من حيرة وعذاب وقلق، فيقول:

تـــاك حـــالي فـــإذا قالـــت مـــا عســـى	**حـــــب بـــــه؟ قـــــالوا: الجنـــــون**
وغـــــذا قالــــــت ايشـــــفي ويـــــزول	**مـــا بـــــه؟ قولـــوا: ستشـــفيه المنـــون**

ويهتف نسيب عريضة بالموت هيا ويقول:

يـــــــا عاصـــــــفات هبــــــــي	**وفرقـــــــــــــي الســـــــــــــنين**
فــــــي العمــــــق يلقــــــي قلبــــــي	**مرفـــــــــــــــأه الأمـــــــــــــــين**

وحين استعصي على الواقع حل مشاكلهم، لجأوا إلى بناء عالمهم المنشود فيما رسمه لهم خيالهم في عالم الأحلام. فهذا هو الشاعر ندرة حداد يتسلى بما يصطنع في عالم الاحلام ويقول:

حيــــــــاة النــــــــاس واحـــــــــدة	**ومكتـــــــــوب لهـــــــا الفشـــــــل**
فـــــأبقى مــــــا بهــــــا عــــــدم	**واطيـــــــع مــــــا بهــــــا أمــــــل**

وفي ظل هذا الاتجاه التأملي، عبر شعراء المهجر عن حيرتهم في فهم النفس الانسانية، فتسألوا وقالوا على لسان رشيد أيوب:

سـألت النـاس مـن هـذا فقـالوا يعلـم الله
فـلا نـدري بمـا فيـه ويسـهو أن سـألناه

أما شاعر الحيرة والقلق دون منازع فهو إيليا أبو ماضي، الذي يعكس ديوانه (الجداول) هذا التيار الحائر. حيث يقول في قصيدته الشائعة المعروفة:

أنا لا أذكر شيئاً عن حياتي الماضية
أنا لا اعرف شيئاً عن حياتي الاتية
لي ذات غير أني لست ادري ما هي
فمتى تعرف ذاتي كنه ذاتي
لست ادري

ذلكم هو الاتجاه التأملي النفسي في الشعر المهجري، وهو كما رأيناه يتضح لدى مهجري الشمال أكثر مما يظهر في شعر أهل الجنوب، بسبب طبيعة الحياة المادية التي طوقت حياة الشماليين، ووضعتهم وجهاً لوجه أمام التناقض بين إيمانهم بمثلهم الدينية وقيمهم الروحية التي فطروا عليها وتربوا في ظلها في وطنهم الام، والتي تبين أنها عصفت بها عواصف التيارات المادية والعلمية، وبين مجابهتهم هذه الحياة التي لا تقيس الأشياء إلا بهذا المقياس المادي الحضاري كما يقال.

(والذي يقرأ ادبهم التأملي يرى انهم كانوا في تأملاتهم يتجردون من طبيعة الطين ويسمون فوق الحياة وفوق البشر، ويحلقون بأخيلتهم في عوالم مجهولة، يحللون النفس الانسانية، ويصورونها بدقة، ويحاولون اماطة اللثام عن اسرار الحياة واسرار ما وراء الحياة، وفي كثير من هذه التأملات العميقة الرحيبة، يحدوهم الشك، ولكنه الشك الباحث عن الحقيقة، المتطلع إلى تحقيق مثل انسانية عليا خالدة. لذلك نستطيع القول أن الادب العربي لم يعرف الادب التأملي قط كما عرفه ادب المهجر).

المصادر

١- شعراء الرابطة القلمية
٢- حركة التجديد الشعري في المهجر.
٣- الادب وقيم الحياة المعاصرة
٤- ادب المهجر: عيسى الناعوري